العلاقات الاقْتِصَادِيَّة لصِقِلِّية بدول البحر المتوسط
(من القرن الثاني حتى السادس الهجري/ السابع حتى الحادي عشر الميلادي)

إعداد
الدكتور / منى بنت حسين بن علي آل سهلان القحطاني
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
كلية الآداب، قسم التاريخ

الملخص

لقد أدرك المسلمون الأوائل أهمية جزيرة صقلية لكونها محطة تجارية هامة تصب فيها المتاجر من الشرق الإسلامي، وتنقل منها إلى الغرب الأوروبي؛ لذلك حرصوا على مد نفوذهم إليها لتكون ضمن حدود دولتهم الإسلامية. وقد كانت صقلية في معظم تاريخها موقعاً استراتيجياً حاسماً؛ وذلك بسبب أهميتها في طرق التجارة المتوسطية، أيضاً بسبب ما كانت تتمتع به من ثقافة غنية وفريدة في نوعها؛ خاصة ما يتعلق بالفنون والأدب والعمارة واللغة وغيرها، كذلك ازدهار الجانب الاقتصادي نتيجة لتمتعها بخصوبة التربة والمناخ المناسب لزراعة العديد من المحاصيل الزراعية، بالإضافة إلى وفرة المعادن والثروة الحيوانية. كل هذه المقومات ساهمت بشكل كبير في إيجاد علاقات اقتصادية قوية بين صقلية والدول المحيطة بها من دول البحر المتوسط الإسلامية، وذلك في ظل السيادة الإسلامية لها، وهو موضوع هذه الدراسة حيث إنها تُعد من الموضوعات الهامة الجديرة بالبحث؛ لأنها تُعد حلقة ضمن حلقات التاريخ الإسلامي التي لا يمكن إغفالها.

Economic relations between Sicily and the Mediterranean Region in the Era between the 7th Century up to the 11th Century A.D

By

Dr. Mona Alqahtani
Associate Professor of Islamic History,
Princess Norah University

Abstract

Early Muslims recognized the significance of Sicily Island for being an important trade station wherein stores of the Islamic East place their products to be moved there to Western Europe. Therefore, they were keen on extending their influences to it in order to get the island within their Islamic state's borders. Sicily has been, in most of its history, a critical strategic location due to its importance in the Mediterranean trade way, with its wealthy and unique culture represented in its distinct arts, literatures, architecture, language, etc., as well as the economic agricultural crops and abundance of metals and livestock. All such factors significantly contributed to the establishment of strong economic relations between Sicily and the surrounding states including Islamic states of the Mediterranean Sea under the umbrella of the Islamic sovereignty. This constitutes the subject of this study, as it is considered one of the significant and search-worthy topics as it is one of the Islamic history's series that cannot be neglected or eluded in general Islamic history.

التمهيد

تُعد جزيرة صقلية من الجزر المهمة في البحر المتوسط (بحر الروم سابقاً) نظراً لموقعها بين قارتي أوروبا وأفريقيا، ولموقعها المتميز حيث المساحة الواسعة وكثرة المدن والقرى، كما امتازت أرضها بالخصوبة وتعدد خيراتها الزراعية؛ إضافة إلى كثرة معادنها وتنوعها، كذلك تعدد مراسيها الصالحة لرسو السفن، مما ساهم بشكل كبير في إيجاد علاقات اقتصادية تجارية مع المناطق المجاورة لها. فكانت علاقة صقلية الاقتصادية بدول البحر المتوسط على قدر كبير من الأهمية، لأن النشاط الاقتصادي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدول ذلك البحر تأثراً وتأثيراً، وكان الازدهار الزراعي والصناعي في صقلية أثره الواضح في نشاط التجارة الخارجية، حتى أصبحت في ظل السيادة العربية من أهم مراكز التجارة في العالم؛ لذلك جاء عنوان البحث العلاقات الاقتصادية لصقلية بدول البحر المتوسط من القرن الثاني الهجر/ السابع الميلادي، وحتى القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وقد ورد لفظ صِقِلِّية بصيغ وأشكال عديدة، فقد أوردها ياقوت الحَمَوي (الحموي، د.ت، ص٤١٦) بثلاثة كسرات وتشديد اللام والياء إصِقِلِّية، وأكثر أهلها يفتحون الصاد واللام، في حين أورد بعضهم بلفظ (أصِقِلِّية) كما أوردها بعضهم بالسين (البغدادي، ١٩٥٤م، ص٨٤٧؛ الأنصاري، ١٩٣٣م، ص١٤٠)، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام، وهى أعجوبة من عجائب الدهر.(الحموي، د.ت، ص ص٤١٦-٤١٧).

في حين أشارت مصادر أخرى إلى (الصقل) ويقال أنهم أحد شعوب البحر التي هاجمت مصر في عهد الأسرتين التاسعة عشر والعشرين، استقروا بعد أن هزمهم رمسيس الثالث (١٨٧ق.م) على جزر من الشاطئ السوري وبعض الجزر القريبة (المدني، ١٩٦٩م، ص١٨٦؛ عباس، ١٩٥٩م، ص٧٢)، على أن فريقاً منهم استقر في جَزِيرَة صِقِلِّية فعرفت باسمهم (غربال، ١٩٦٥م، ص١١٢٦)، ويذكر أن (الصقل) هم سكان صِقِلِّية الأصليون (غانم، ١٩٧٨م، ص٨٨).

بدأت المحاولات لفتح صِقِلِّية منذ العهد الأُمَوِي وذلك لأسباب عديدة منها: أن العرب والمُسْلِمِين أدركوا أهمية صِقِلِّية، وكذلك عرفوا أنها قاعدة للنفوذ البيزنطي وأن وجودها تهديد للنفوذ العربي في إِفْرِيقْيَةَ ويكون غزوها حماية لفتوحهم (الدوري، ١٩٨٠م، ص٢٧؛ الشمري، ٢٠١١م، ص٦١).

استمرت محاولات الفتح ما يقارب القرن من الزمان، وكانت بمثابة تهديد لمعاقل الروم في الجَزِيرَة ومحاولة لإرهابهم وكسر شوكتهم بها، وللضرورات الأمنية التي أوجبتها حماية سواحل البحر المتوسط الإسلامية، ولاسيما شمال أفريقيا، كما أن ذلك يمثل امتداد لمنهج الفتوحات الإِسْلامية التي كانت تمهد لنشر الإسلام في العالم (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص٢٧؛ الشمري، ٢٠١١م، ص١١٠).

وكان موقع الجَزِيرَة الاستراتيجي المتميز في منتصف البحر المتوسط والذي جعل منها ممراً مهماً للطرق التجارية ومعبراً لانتقال الحضارة منها وإليها منذ أقدم العصور، ومحط أنظار القوى المتصارعة عبر مختلف عصور التَّارِيخ، كما تعاقبت عليها الهجرات من الشَرْق والْغَرْب، وكان الهدف السيطرة عليها وعلي خيراتها (المسعودي، ١٩٨١م، ص٤١٦) ملحق رقم (١).

كذلك ما امتازت به جزيرة صقلية من مواصفات طبيعية جعلها منطقة جذب للسكان؛ فكانت أرضها خصبة زراعية حيث انتشر بها العديد من الآبار والعيون والأنهار الجارية (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص١٧٧) (Scott. Samuel, 1940, p14.) ؛ بالإضافة للمناطق السهلية والجبلية فيها حيث يعتبر مسطح جزيرة صقلية ذا طبيعة جبلية وهي امتداد للمرتفعات الجبلية الموجودة في شبه الجزيرة الإيطالية (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص٦١٣).

كما كانت أرض صقلية غنية بالمعادن كمعدن الذهب، كل ذلك أعطى جزيرة صقلية مواصفات تميزها من سائر البلاد في غناها الزراعي والمعدني والحيواني، وقد قيل عنها (ابنة الأندلس) (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص٢٥٣)، وذلك لسعة العمارة فيها والخصوبة ووفرة الأرزاق والفواكه والبساتين.

وتعد بلرم وهي "عاصمة جزيرة صقلية وأكبر مدنها، يحيط بها سور منيع من حجارة عظيمة وبها أكبر مساجد صقلية" (ابن حوقل،١٩٩٢م، ص١٧١؛ أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٩٣)، أكبر مركز تجاري للتصدير والاستيراد، وتأتي مَدِينَة مسيني "التي تقع في الزاوية الشمالية من جزيرة صقلية وهي مشهورة بكثرة العنب والخمر، وتعد من أكبر المدن بعد العاصمة" (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٩٣) بعد بلرم في الأهمية كونها أقرب المدن الصقلية إلى البر الإيطالي (الإدريسي، ١٩٨٦م، ص٥٩٥؛ ابن جبير، ١٩٦٨م، ص ص ٢٦٥-٢٦٦)، أما الميناء الثالث في الأهمية فهي مَدِينَة مازر وهي "مدينة بجزيرة صقلية تلي قوصرة بينهما مجرى وهي مدينة مشهورة على الساحل الموازي الإفريقية وهي إلى الجنوب من مدينة بلرم" (الحميدي،١٩٧٥م، ص١٧٥)، وهى مَدِينَة ساحلية تقع في جنوب جَزِيرَة صِقِلِّية، وتقصدها المراكب من جميع الجهات(الإدريسي، ١٩٨٦م، ص ص ٦٠٠-٦٠١)، ومرسى الشاقة، وهى مَدِينَة على البحر وعن طريقها تصل التِّجَارَة منها وإلى إِفْرِيقْيَةَ وطرابلس باستمرار(الإدريسي، ١٩٨٦م، ص

٦٠٠)، وسرقوسة تقع على الساحل الشرقي يقصدها التجار من جميع الجهات وفيها مرسيان للسفن ليس مثلهما في جميع البلدان (الإدريسي، ١٩٨٦م، ص ٥٩٧).

طرق المواصلات التي تربط صقلية بدول البحر المتوسط

كان لامتلاك صِقِلِّية الطرق والمسالك الكثيرة البرية منها والمائية والتي تربط بين مدنها وقراها البعيدة الأثر الكبير في تنشيط الحركة التِّجَارِية الداخلية(Daniel,1975,p.23)، وعدت جَزِيرَة صِقِلِّية حلقة الوصل بين العديد من الطرق التِّجَارِية البَحْرِية كونها تتوسط البحر المتوسط وارتبطت بعلاقات تجارية وثيقة مع أغلب الدول، كما أنها كانت من أهم المراكز التِّجَارِية بين الدول الإِسْلامية والأوربية (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص١٨٨).

ثم أصبحت جَزِيرَة صِقِلِّية مركزاً تجارياً مهماً بالنسبة للمسلمين قبل فتحها، إذ ربطت بين صِقِلِّية والمُسْلِمِين طرق تجارية، وكان التجار المُسْلِمون يتاجرون عبر الطرق من شمال أفريقيا إلى صِقِلِّية (ابن الأثير، ١٩٨٢م، ص٤٥٦)، ففي الجنوب كانت مَدِينَة سوسة وهي " تقع في بلاد المغرب على ساحل البحر المتوسط وهي مدينة عظيمة يحيط بها البحر من ثلاث جهات"(الحموي، د.ت، ص ص٢٨-٢٩) على ساحل المُغْرِب العربي "وتبدأ حدود المغرب من شرق الحدود المصرية، أي من برقة إلى البحر المحيط، ومن الشمال بحر الروم حتى السنغال، النيجر. وينقسم المغرب إلى ثلاثة أقسام حسب قربها أو بعدها من الخلافة الإسلامية بالمشرق وهي: القسم الغربي، المغرب الأقصى. القسم الأوسط، المغرب الأوسط. القسم الشرقي، المغرب الأدنى أو أفريقيا" (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٢٢؛ الناصري، ١٩٩٧م، ص١٢٧). والمقابل لَمَدِينَة مازر على الساحل الصقلي والمسافة بين المدينتين حوالي ثلاثة أيام للسفينة في ذلك الوقت (البكري، ١٩٦٨م، ص٢٢٠؛ الجبوري، ٢٠٠٧م، ص١٨٨) ملحق رقم (٢).

استمر التبادل التِّجَارِي واسعاً ليشمل دول العالم الإسلامي المختلفة إذ كانت صِقِلِّية حلقة وصل بين المُسْلِمِين والدَّوْلَة البيزنطية في مجال التبادل التجاري، فقد كان التجار المُسْلِمون يتاجرون معها قبل فتحها وكانت تعقد المعاهدات التي تحوي شروطها (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص١٩٢) ملحق رقم (٣)، وبدخول الإسلام إلى الجَزِيرَة واستقرار المُسْلِمِين فيها واهتمامهم بالزراعة والصِّنَاعَة ازدهرت حركة التبادل التجاري (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص١٩٢)، واستمرت صِقِلِّية في التأثير على العملة، فعلى مدى حكم النورمان لصِقِلِّية ظلت عملاتهم تضرب وعليها كتابة عربية إسلامية بالخط الكوفي(Haskins. 1915, p42.)، وبعضها يحمل التَّارِيخ الهجري وعليها عبارة (محمد رسول الله) (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص ٣٨٩).

أما طرق المواصلات التي تربط بين صِقِلِّية والأَنْدَلُس "هو الاسم الذي أطلق على ما حكمه

المسلمون من شبه جزيرة أيبيريا ويتسع ويضيق حسب قوة المسلمين وضعفهم حتى اقتصر في نهاية الأمر على مملكة غرناطة والتي أطلق عليها الأندلس" (مؤنس، ١٩٨٧م، ص١٨٧)، فمنها طرق التِّجَارَة البَحْرِية التي تربط موانئ شرق الأَنْدَلُس مثل قرطاجنة "مدينة قديمة في نواحي أفريقية كانت عاصمة للفينيقيين دخلها حسان بن النعمان فأمر بهدم أسوارها، تمتاز بوفرة الرخام المتنوع الألوان الذي استخدمه المسلمون في بناء العديد من المدن"(الحموي، د.ت، ص٣٦٧)، ودانية وهي" تقع على ساحل البحر المتوسط جهة الشرق، اسمها مشتق من الاسم الروماني (دانيوم) استقل بها القائد الصقلي مجاهد العامري" (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٧٩) بموانئ صِقِلِّية مارة بجزائر البليار " هي عبارة عن مجموعة من الجزر شرق الأندلس داخل البحر المتوسط (ميورقة، منورقة، يابسة، فرمنيترا) ويطلق على هذه الجزر اسم الجزائر الشرقية أو جزر البليار وعاصمتها ميورقة لأنها أكبرها" (عنان، ١٩٨٨م، ص١٨٩)، وسردينية " وهي إحدى الجزر الغربية في البحر المتوسط ويوجد بها العديد من القلاع ويتوفر بها معدن الفضة وحجر المرجان" (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٩١)، لكن هذا الطريق تعطل أثناء الغزو النورماندي سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، ولم يعد بإمكان عرب صِقِلِّية استخدامه لخطورته، بل اتخذوا طريق المَغْرِب براً إلى الأَنْدَلُس، فعندما وجه المعتمد ابن عباد صاحب أشبيلية " مدينة كبيرة تقع غرب الأندلس وهي من أعظم مدنها وتطل على النهر الأعظم، فتحها موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، ثم صارت قاعدة لدولة بني عباد، سقطت بيد النصارى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٤٨م" (الإدريسي، ١٩٨٦م، ص٥٤١؛ أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٧٥) بالأَنْدَلُس الدعوة إلى الشاعر الصقلي أبي العرب مصعب للمجيء إلى الأَنْدَلُس أجابه شعراً بعدم إمكانية التوجه إلى الأَنْدَلُس بحراً إذ قال: "البحر للروم لا يجري السفين به إلا على غرر والبر للعرب"(ابن خلكان، ١٩٧٢م، ص ص٣٣٣-٣٣٤).

لكن الطريق التِّجَارِي بين صِقِلِّية والأَنْدَلُس ما لبث أن عاد بعد استقرار النورمان في صِقِلِّية (الدوري،١٩٨٠ص١٦٨)، وهو الطريق الذي سلكه ابن جبير، إذ أبحر من ميناء دانية ثم سلك طريقاً بحرياً بمحاذاة جزر يابسة، ميورقة، منورقة (جزر البليار) ماراً بسردينية ثم صِقِلِّية (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص١١). أما طريق عودته من صِقِلِّية إلى الأَنْدَلُس فكان من مرسى طرابنش "وهي مدينة قديمة أسسها الأغريق، تقع على ساحل البحر الغربي في صقلية، تعتبر ميناء هام للصيد، وتحيط بها المياه من جميع الجهات، وتبعد عنها مسافة أميال جزيرة الراهب التي تطل على البحر المتوسط" (الحميري، د.ت، ص٢٨) في صِقِلِّية إلى جَزِيرَة الراهب، ثم بمحاذاة سردينية ماراً بجَزِيرَة يابسة ثم قرطاجنة (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص ص ٢٧٥، ٢٨٤)، وأقرب موانئ الأَنْدَلُس الشرقية إلى صِقِلِّية طرطوشة" وهي مدينة قديمة

بالأندلس شرق بلنسية، وهي مدينة برية وبحرية، مدينة حصينة على سفح جبل تكثر بها أشجار الصنوبر الذي يعد من أجود أنواع الأخشاب"(الإدريسي، ١٩٨٦م، ص٥٥٥، الدوري، ١٩٨٠م، ص١٦٨)، وكانت المسافة بين الأَنْدَلُس والبر الصقلي حوالي تسع مئة ميل (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص ص٨، ١١).

أما طرق المواصلات بين صِقِلِّية والمُغْرِب، فكانت قاصرة على الطرق البَحْرِية بحكم كونها جَزِيرَة في وسط البحر المتوسط، ومن أهم مراكز طرق المواصلات بين صِقِلِّية والمُغْرِب مرسى طرابنش في الساحل الجنوبي من صِقِلِّية، وهو صالح لرسو السفن، والسفر منه إلى تونس " هي مدينة كبيرة قديمة قريبة من قرطاجنة، تسمى قديماً ترشيش يحيط بها سور طويل، تقع شمال أفريقيا اشتهرت في التاريخ الإسلامي بأنها إحدى مراكز النشاط البحري في عهد عبدالملك بن مروان، اتخذها بنو حفص قاعدة لحكمهم" (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص٧٥)، لا يتعطل شتاءً ولا صيفاً (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص ٢٧٥)، ثم مرسى الشاقة في صِقِلِّية، وقلعة شكلة ويسافر إليها من بلاد إِفْرِيقْيَةَ(الدوري،١٩٨٠م، ص١٦٥).

أما مراكز طرق المواصلات المُغْرِبية التي تربطها مع صِقِلِّية فهي قليبية " وهي مدينة تونسية في الشمال الشرقي، تعد مرفئ مهم للصيد في تونس. اليعقوبي: البلدان" (اليعقوبي، د.ت، ص٣٤٨)، وسوسة" وهي تقع في بلاد المغرب على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة عظيمة يحيط بها البحر من ثلاث جهات" (البكري، ١٩٦٨م، ص ص٣٥-٣٦). والمهدية والتي تعد آنذاك مرفأ أميناً للسفن الصِقِلِّية (البكري، ١٩٦٨م، ص٣٠)، وصفاقس" وهي مدينة بأفريقيا تقع على الساحل، اشتهرت بإنتاج الزيت وتصديره إلى مصر والمغرب وصقلية " (الحميدي، ١٩٧٥م، ص ص٣٦٥-٣٦٦) ثم قابس" وهي مدينة بأفريقيا، قريبة من القيروان، تشتهر بزراعة التمر والموز والتوت "(الحميدي، ١٩٧٥م، ص٤٥٠)، وتونس (الدوري،١٩٨٠م، ص١٦٦)، وكانت السفن تتجه من صِقِلِّية إلى سبته "وهي مدينة مغربية تقع على مضيق جبل طارق، وهي مقابلة للجزيرة الخضراء في الأندلس"(الحميدي، ١٩٧٥م، ص٣٠٣)، وتونس وبين صِقِلِّية وتونس، والمسافة بين جَزِيرَة صِقِلِّية أقرب مواضع البر إلى إِفْرِيقْيَةَ مائة وأربعون ميلاً (الحموي، د.ت، ص٤١٦).

أما طرق المواصلات التي تربط صِقِلِّية بمصر فبعضها بحري والبعض الأخر بحري بري، وأهم هذه الطرق الطريق الشمالي الذي يبدأ من صِقِلِّية عن طريق كريت "وهي هي جزيرة عامرة كثيرة الخصب، بها مدن عامرة وهي جزيرة طويلة وعريضة تقع في البحر الأبيض المتوسط" (الإدريسي، ١٩٦٨م، ص ص ٦٣٩-٦٤٠)، وقبرص "وهي من جزر بحر الروم (البحر المتوسط)، طولها ما بين ميل ولها ذنب دقيق في شرقيها، ويقرب إلى ساحل الشام، ودور جزيرة قبرص ما يقارب مائتان وخمسون ميلاً" (أبو

الفداء، ١٨١٤م، ص١٩٥)، وبلاد الشَّام إلى مصر (ابن خرداذبة، ١٨٨٩م، ص١١٦). والطريق البحري الثاني يبدأ من الإسْكَنْدَرِيَّة " مدينة في ديار مصر، تنسب إلى الإسكندر المقدوني الذي بناها، طولها إحدى وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة، وهي من أجل المدن المصرية" (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١١٣؛ الحموي، د.ت، ص١٨٩)، ماراً بمحاذاة شواطئ المَغْرِب ومن موانئ المَغْرِب إلى صِقِلِّية، وهناك طريق أخر بحري بين صِقِلِّية ومصر وهو الطريق الذي يربط موانئ صِقِلِّية بموانى المَغْرِب ويسير الطريق البري بين مدن المَغْرِب والإسْكَنْدَرِيَّة (الدوري، ١٩٨٠م، ص١٧١)، وهو ساحلي صحراوي، فالأول يسير بمحاذاة الساحل، والأخر في الداخل إلى الجنوب منه (الإدريسي، ١٩٦٨م، ص ص ١٠٢-١٠٣). وهناك الطريق بين السواحل الصِقِلِّية ومَدِينَة الإسْكَنْدَرِيَّة في مصر تقطعه السفن في عشرين يوماً (ناصر خسرو، ١٩٩٣م، ص١٨٩).

وترتبط صِقِلِّية مع بلاد الشَّام بطريق بحري ماراً بجَزِيرَة كريت وقبرص ثم بلاد الشَّام وقبرص ثم بلاد الشَّام (Amari, 1933 – 1939, p18.)، وهو الطريق الذي مر به ابن جبير في رحلة عودته من عكا " وهي من أقدم المدن الفلسطينية التاريخية، على ساحل البحر المتوسط، وهي اليوم ضمن لواء الشمال الإسرائيلي" (الحموي، د.ت، ص٣٩٦) إلى صِقِلِّية (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص ص ٢٥٥-٢٦٤)، وهناك طريق أخر بين صِقِلِّية وبلاد الشَّام عن طريق مصر في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وهو طريق الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة بفلسطين " يقع إقليم فلسطين على الركن الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط، وكانت حدود فلسطين قبل الفتح هي التي وضعها البيزنطيون، والتي امتدت حين ذاك من جبال الجليل شمالاً إلى خليج العقبة جنوباً، وقد قسمها البيزنطيون إلى ثلاثة أقسام، فلسطين الأولى في وسط الإقليم، وفلسطين الثانية شمال فلسطين الأولى، وفلسطين الثالثة ولكل منها عاصمتها" (الجبيلي، ٢٠١٢م، ص٥٢١)، حيث يواصلون سفرهم من مصر براً إلى فلسطين (العدوي، ١٩٥٧م، ص٨٢؛ الدوري، ١٩٨٠م، ص ص١٧١-١٧٤).

والسفن تغادر الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط من صور " مدينة ساحلية داخلة في البحر على ساحل الشام" (الحموي، د.ت، ص٣٩٧)، وعكا وسواحل فلسطين إلى صِقِلِّية تستغرق خمسة وثلاثين يوماً حتى تصل صِقِلِّية، وكانت رحلات السفن في هذا الطريق لها أوقات معينة للذهاب والإياب(الجبوري، ٢٠٠٧م، ص١٨٩).

علاقة صقلية الاقتصادية بالأندلس:

اشتهرت صِقِلِّية بصلاحية أراضيها للزراعة وملاءمتها لجميع أنواع النباتات والأشجار والفواكه والخضروات، وهى صفة أشاد بها جميع المؤرخين والجغرافيين العرب (المدني،١٩٦٩م،ص١٢)، كما أن خصوبة تربتها كانت سبباً لانتشار المراعي الخضراء، مما أدى إلى

زيادة الثروة الحَيَوَانية (الحموي، د.ت، ص ص٤١٧-٤١٨)، وتقع صِقِلِّية ضمن المنطقة المعتدلة مناخياً (المدني، ١٩٦٩م، ص١٢)، وتكثر الأمطار في ساحلها الشمالي الْغَرْبي وتجري فيها العديد من الأنهار، واشتهرت بكثرة الغابات والتي تستخدم في العديد من الصناعات الخشبية (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص١٢٥)، وفيها جميع الفواكه على اختلاف أنواعها لا تنقطع عنها صيفاً ولا شتاءً (الحموي، د.ت، ص ص٤١٧).

كان لازدهار صِقِلِّية زراعياً وصناعياً الأثر الأكبر في ازدهار التِّجَارَة ثم توفر كافة المستلزمات الضرورية لهذه العملية، وكذلك موقع الجَزِيرَة البحري المتميز حيث يعد البحر المتوسط أهم البحار التِّجَارِية التي ربطت بين الشَرْق والْغَرْب، فضلاً عن الاستقرار الذي عم الجَزِيرَة أثناء الحكم الإِسْلامي (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص١٧٧).

وكانت صِقِلِّية منذ القدم مشتهرة بأسواقها التي تعددت لتحتوي مختلف أنواع السلع، وكان أهم مركز تجاري في صِقِلِّية هي العاصمة بلرم ولا تكاد تخلو أي مَدِينَة أو قرية من الأسواق الخاصة بها (الحموي، د.ت، ص ص٤١٧).

وصف ابن جبير (١٩٦٨م،ص ص٢٦٦-٢٧٠) ازدهار الْحَيَاة الاقْتِصَادِيَّة في صِقِلِّية وقال أنها تشبه الأَنْدَلُس في ذلك، فهي مشهورة في سعة العمارة وكثرة الخصب ورفاهية العيش وكثرة البضائع على اختلاف أنواعها. أما حاضرة صِقِلِّية بلرم فهي شبيهة بقُرْطُبَة "وهي تقع في الجزء الأوسط الجنوبي من الأندلس على النهر الكبير، كانت قاعدة الأندلس مدار الأمارة، ومقر الخلافة حيث استقر بها بنو أمية، استرجعها الأسبان سنة ٦٣٤هـ، فتركها المسلمون فتدهورت أحوالها، صارت اليوم مدينة حضيرة" (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٧٥؛ الفاسي، ١٩٦٢م، ص ص٣٢-٣٣) عاصمة الأَنْدَلُس وقال عنها ابن جبير (قرطبية البنيان) (١٩٦٨م، ص٢٧٣).

وفي مجال الزراعة، كانت زراعة القطن التي تزرع في سواحل الأَنْدَلُس تشترك في صفات واحدة من حيث قيام الفلاحين في زراعته في الأرض الكريهة، فضلاً عن الطرق المستخدمة في سقيه في الأراضي الجافة، والاعتماد على الأمطار في الأراضي الرطبة (ابن العوام، ١٨٠٢م، ص ص ١٩٣-١٩٤).

ومن المحاصيل الزِّرَاعِية التي نقلها القرطاجيون إلى صِقِلِّية القمح وزراعته، ويأتي العنب في مقدمة الفواكه التي تزرع في صِقِلِّية والتي كانت سبباً في ازدهار صناعة النبيذ (الطاهري، ٢٠٠٤م، ص٢٤٠)، وأخذ عرب الأَنْدَلُس أساليب زراعة البصل وطرق سقيه من صِقِلِّية إذ كانت لهم أساليبهم وطرقهم الخاصة في زراعته وريه (ابن العوام، ١٨٠٢م، ص ص ١٩٣-١٩٤)، وهو على نوعين: البكير المخصص للأكل والمتأخر الذي يدخر(الطاهري، ٢٠٠٤م، ص٢٤٠)، وكذلك أخذت الأَنْدَلُس زراعة الخبازي الصقلي من صِقِلِّية (ابن العوام، ١٨٠٢م، ص ص ٤١٨-٤١٩؛ الدوري، ١٩٨٠م، ص

١٦٧)، وفي أرضها ينبت الزعفران (الحموي، د.ت، ص٤١٧).

وفي المجال الصناعي أخذ عرب الأَنْدَلُس عن عرب صِقِلِّية كيفية صناعة نوع من عصير العنب المعجون بالعسل الذي تزداد حلاوته ويطول بقاؤه صالحاً (ابن العوام، ١٨٠٢م، ص ص ٤١٨-٤١٩).

وشارك عرب الأَنْدَلُس عرب صِقِلِّية والمَغْرِب السيطرة على تجارة البحر المتوسط التي أدت إلى إنعاش طرق التِّجَارَة القديمة بين شرق البحر المتوسط وغربه، فجلبت تلك المشاركة الرخاء أيضاً للأندلسيين (الدوري،١٩٨٠م، ص١٦٧).

وكان أمراء الأَنْدَلُس يرسلون التجار إلى صِقِلِّية لجلب السلع الصِقِلِّية، ومن صادرات صِقِلِّية إلى الأَنْدَلُس النوشادر" مادة قلوية ذات طعم حاد" (الحَمَوي، د.ت، ص ص٤١٧-٤١٨؛ لويس معلوف، د.ت، ص٨٠٨)، والثياب المقصورة الجيدة (المقدسي، ١٩٠٦م، ص٢٣٩)، كذلك تصدر صِقِلِّية الرقيق إلى الأَنْدَلُس (الدوري،١٩٨٠م، ص١٦٩)، أما واردات صِقِلِّية من الأَنْدَلُس فتشمل المراكب التجارية (ابن الخطيب، د.ت، ص١٢٧)، والأقمشة الأَنْدَلُسية (الباشا، ١٩٦٧م، ص٣٦٠).

علاقة صقلية الاقتصادية مع بلاد المغرب:

اهتم عرب المَغْرِب في مجال الزراعة عندما أدخلوا إلى صِقِلِّية وزرعوا الكثير من النباتات الشرقية (الدوري،١٩٨٠م، ص١٦١)، التي لم تكن معروفة في صِقِلِّية قبل دخولهم إليها، وكان قسم من البربر " قيل إن من سماهم البربر هو أقريقش بن قيس، من ملوك التبابعة، غزاهم فلما سمع رطانتهم قال ما أكثر بربرتكم، فسموا البربر، وقد استبعد ابن خلدون ذلك" (د.ت، ص ص٨٩-٩٠) الذين وفدوا إلى صِقِلِّية فلاحين وكان لهم دور كبير في تقدم الزراعة فيها، بل قاموا بحفر الترع والقنوات واهتموا بوسائل الري والسقي في أرض هذه الجَزِيرَة، وقاموا بإصلاح الأراضي وغرس الأشجار (جوستاف لوبون، د.ت، ص٣١٠)، وقد أدى مسلمو صِقِلِّية وغير مسلميها ضريبة الخراج، وخضعت محصولات أراضي المُسْلِمِين لضريبة العشر (الدوري،١٩٨٠م، ص١٦١).

إن النظم الإِسْلامية أحدثت تغيراً كبيراً في طريقة توزيع الملكيات الكبيرة، وأدى نظام المواريث إلى تفتيت الاقطاعات الكبيرة (الدوري،١٩٨٠م، ص١٦٢)، وأشار ابن حَوْقَل (١٩٩٢م، ص١٣٠) إلى النظم المَاليّة وموارد بيت المال في صِقِلِّية في عهد الكلبيين " ينتسب الكلبيون إلى قبيلة قضاعة اليمنية، وهي قبيلة ترجع إلى العرب القحطانية، كانت تقع منازلهم في دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام، كما أن منهم جموع نزحت ونزلت خليج القسطنطينية، حكموا صقلية من سنة (٣٣٦- ٤٤٣هـ)" (ابن خلكان، ١٩٧٢م، ص٣٧٧؛ القلقشندي، ١٩٨٧م، ص٤٠٨؛ القحطاني، ٢٠١٢م، ص٥٣٨)، وهي

تشبه إلى حد كبير النظم المَاليّة الفَاطِمِيَّةُ، وكان بيت مال الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م) "ينتسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمي الذي كان والياً على إقليم الزاب في المغرب الأوسط في عهد الخلافة العباسية، ثم والياً على أفريقيا والمغرب، واستمر أبناؤه من بعده يحكمون إقليم الزاب، اشتهروا بالإخلاص للدولة العباسية " (القحطاني،٢٠١٢م، ص٥٣٦)، والفاطميين (٣٥٨هـ-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧٢م) "هو لفظ عرف به أولاد عبيد الله المهدي، وهو يشعر القارئ في بادي الأمر بأنهم من أولاد فاطمة بنت النبي ﷺ، إلا أن مسألة نسب هذه الأسرة كانت ولا تزال موضوعاً كثرت فيه آراء الجمهور والمؤرخين؛ فمنهم من أيد صحة هذا القول، ومنهم من أنكره جملة وتفصيلاً، وهذه الأسرة حكمت بلاد المغرب ومصر قرابة ثلاثة قرون، وقد كان مذهب هذه الأسرة هو المذهب الشيعي" (ابن تغري بردي، ١٩٩٢م، ص ص ٧٤-٨٢) ترد إليه أموال كثيرة من صِقِلِّية، وكان معدن الحديد في صِقِلِّية يشكل مورداً كبيراً للأغالبة وانتقلت ملكية مناجمه إلى سلطة الدولة الكلبية والفَاطِمِيَّةُ (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص١٣٠؛ الشمري، ٢٠١١م، ص ١٣٠).

وكانت أخشاب أشجار جُرجنت - وهي من بلاد صِقلّية - تستخدم في صنع الأساطيل الأغلبية، وكانت الدَّوْلَة الفَاطِمِيَّةُ تمتلك الأراضي لزراعة قصب السكر في صِقِلِّية (الدوري، ١٩٨٠م، ص١٦٣)، وأقبل المُسْلِمون على تربية المواشي بكثرة للاستفادة من لحومها، فأصبح هناك ثروة حَيَوَانية استهلاكية كبيرة، ولكثرة ما توافر في صِقِلِّية من المواشي كانت تصدر الفائض منه إلى المَمَالِك والدول الإِسْلامية الواقعة على البر (الإصطخري، ١٩٦٧م، ص ٥١؛ الجبوري، ٢٠٠٧م،ص١٣٢)، فضلاً عن أن موقع صِقِلِّية البحري وطول سواحل الجَزِيرَة ساعد على توفر ثروة سمكية هائلة (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص ١٣٢).

وكانت للسيادة العَرَبِيَّة البَحْرِية على البحر المتوسط آثار عظيمة على الْحَيَاة الاقْتِصَادِيَّة والتِّجَارِية في كل أقاليمه والمستفيد من ذلك سكان صِقِلِّية وسكان شمال إِفْرِيقْيَةَ بصفة خاصة وأصبحوا في ذلك وسطاء في تِجَارة البحر الذين تحكموا بنقل التِّجَارَة فيه بين الشَّرْق والْغَرْب (لويس،١٩٦٠م، ص٢٥٢)، وكان لانتعاش التِّجَارَة الدولية والتصنيع الجديد والتقدم الزراعي أثره في جلب الرخاء لكل من صِقِلِّية وشمال إِفْرِيقْيَةَ (لويس، ١٩٦٠م، ص ص٢٥٢-٢٥٣، ٢٦٠، ٢٧٠)، وأن عرب صِقِلِّية كثيراً ما كانوا يرسلون إلى المهدية "مدينة بالمغرب استحدثها المهدي عبيدالله أول الخلفاء الفاطميين، وهي تقع شرق سوسة، على الطرف داخلة في البحر على هيئة كف، بنى حولها سور عظيم، وقد سكنها الناس حتى صارت من أجل المدن والأمصار"(أبو الفدا، ١٨١٤م، ص١٤٥) وسوسة في الْمَغْرِب (الدوري،١٩٨٠م، ص ١٦٤).

وكان يقوم بنقل التِّجَارَة بين صِقِلِّية والمَغْرِب التجار الْيَهُود الذين كان لهم حارة في بلرم عاصمة صِقِلِّية تسمى حارة الْيَهُود في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص١٢٢). إن طرق التِّجَارَة بين صِقِلِّية والمَغْرِب كانت قاصرة على الطرق البَحْرِية بحكم كونها جَزِيرَة في وسط البحر المتوسط، ومما سهل عملية التبادل بين صِقِلِّية والمَغْرِب أنهما متوازيان ومتقاربان بينهما يوم وليلة (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص٢٧٥).

ومن أهم المراكز التِّجَارِية بين صِقِلِّية والمَغْرِب مرسى طرابنش في الساحل الجنوبي من الجَزِيرَة وهو صالح لرسو السفن، وبسبب موجه الهادئ تكون السفن فيه آمنة إذا اشتدت الريح، والسفر منه إلى تونس وإليه لا يتعطل شتاءً ولا صيفاً (ابن جبير، ١٩٦٨م، ص٢٧٥)، ومرسى الشاقة في صِقِلِّية معمور والسفر إليه من إِفْرِيقْيَةَ وطرابلس لا ينقطع (الإدريسي، ١٩٦٨م، ص٣٢)، ومرسى على الذي يكثر سفر أهل إِفْرِيقْيَةَ إليه (الدوري،١٩٨٠م، ص١٦٥)، وقلعة شكله التي تبعد عن البحر ثلاثة أميال، وهي عامرة بالأسواق والبضائع، ويسافر إليها من بلاد إِفْرِيقْيَةَ (الإدريسي، ١٩٦٨م، ص٣٠).

أما أهم المراكز التِّجَارِية المَغْرِبية التي ترتبط بموانئ صِقِلِّية فهي أقليبية، وسوسة بالمهدية (اليعقوبي، د.ت، ص٣٤٨). كذلك ازدهرت التِّجَارَة البَحْرِية في كل من موانئ المَغْرِب العربي صفاقس وقابس وتونس (البكري، ١٩٦٨م، ص ص ٣٥-٣٦).

تصدر صِقِلِّية إلى إِفْرِيقْيَةَ الجوز واللوز والفستق والقطن وبعض الأدوية (الدوري، ١٩٨٠م، ص١٦٦) وأطعمة كثيرة والسكر يصدر إلى القيروان " أعظم مدينة ببلاد المغرب، أسسها عقبة بن نافع زمن معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٥هـ، وهي اليوم تقع بالقطر التونسي" (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص٦٤؛ الاصطخري، ١٩٦٧م، ص٣٤؛ الدوري، ١٩٨٠م، ص ١٦٦).

أما واردات صِقِلِّية من المَغْرِب فهي كثيرة منها زيت الزيتون من صفاقس، وكانت القيروان تستورد زيت الزيتون من مناطق طرابلس الْغَرْب "هي مدينة بأفريقيا تقع على البحر المتوسط يحيط بها سور عظيم، أول من بناها هو شباروس قيصر، تولها هرثمة بن أعين، وهي الآن عاصمة ليبيا وأكبر مدنها"(الحموي، د.ت، ص ص٢٨-٢٩. والساحل وتعيد تصديره إلى صِقِلِّية (لويس،١٩٦٠م، ص٢٥٣)، واعتمدت صِقِلِّية على المَغْرِب العربي لسد حاجاتها من الزيتون والزيوت، ولاسيما من مَدِينَة صفاقس لاشتهارها بغابات الزيتون (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص٧٣؛ الجبوري،٢٠٠٧م،ص١٢٤)، وتطورت صناعة الورق في صِقِلِّية بعد أن نقلها المُسْلِمون إليها حيث كانت منتشرة في بلاد المَغْرِب (لويس،١٩٦٠م، ص١٥١).

علاقة صقلية الاقتصادية بمصر:

وهي "مصاقبة بجزيرة العرب، وديار مصر تقع في غربي جزيرة العرب وجنوبها بلاد السودان من النوبة وغيرها، ومن تلك الجهة يأتي نهر النيل،

وبلاد مصر تشمل الكثير من المدن والأقاليم". (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص١٠٣).

وفي العصر الفاطمي كانت صِقِلِّية ترتبط بعلاقات اقتصادية مع مصر، ففي المجال الصناعي نجد أن صناعة صِقِلِّية تأثرت بالصِّنَاعَة المصرية، ولاسيما صناعة النسيج، حتى كان من الصعب كثيراً التمييز بين الأقمشة المنسوجة في مصانعها، والأنسجة المنسوجة في مصر (حسن، ١٩٨١م، ص١٢٠؛ الدوري، ١٩٨٠م، ص ١٧٠).

أما صناعة السفن فيلاحظ استخدام مصر في العصر الفاطمي لبعض النجارين الصقليين للقيام بتلك الصناعات، وأن أحد السفن الكبيرة والمستخدمة في موكب الأمير الفاطمي كان يسمي الصقلي نسبة إلى صانعه أحد نجاري صِقِلِّية (القلقشندي: ١٩٨٧م، ص٥١٦، الدوري، ١٩٨٠م، ص١٧٠)،كما لوحظ أن هناك تشابه كبير في استخدام زخارف متشابهة في الخشب والعاج في كل من صِقِلِّية ومصر (حسن،١٩٨١م،ص ص٢٢٧-٢٢٨)، وقد تكون صِقِلِّية قد تأثرت بالزخارف المحفورة بالطراز الفاطمي (حسن،١٩٨١م، ص٤٥٠).

استمرت صِقِلِّية في تبعيتها للفاطميين وقتاً طويلاً، لذلك لابد أن ترتبط بعلاقات تجارية وثيقة مع مصر في العصر الفاطمي، ولعل موقعها المتوسط بين الشرق والْغَرْب، جعل أكثر السفن الذاهبة من مصر إلى إيطالية وجنوب فرنسا تمر بمدن صِقِلِّية لبيع المنتجات المصرية أو تشتري بدلها من قمح صِقِلِّية وفاكهتها ومعادنها (حسن، ١٩٥٨م، ص٦١٣)، وكذلك كان عرب صِقِلِّية يرسلون سفنهم التِّجَارِية إلى مصر من أجل الحصول على المنتجات الآسيوية (الدوري، ١٩٨٠م، ص١٧٠)، وازدهرت العلاقات التِّجَارِية بين الْإِسْكَنْدَرِيَّة وصِقِلِّية (لويس، ١٩٦٠م، ص٣٢٧).

وكان النسيج الصقلي معروفاً في أكثر البلدان والذي اشتهر بنوعيته وجودة صناعته (المقريزي، ١٩٦٧م، ص٣٠٧)، وكانت تصدر إلى مصر، ويباع القطعتان من هذه الثياب في مصر (بستين ديناراً) (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ص٢٣٩، ٢٤٠)، ومن أهم صادرات صِقِلِّية إلى مصر القمح والأطعمة (المقريزي، ١٩٦٧م، ص٣٠٧)، وكذلك كانت إليها معدن النوشادر الأبيض (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ص٢٣٩ ،٢٤٠)، وكذلك الحجارة التي تقذف بها براكين صِقِلِّية، والتي كانت تستخدم في حك الكتابة من الدفاتر في مصر (المسعودي،١٩٨١م، ص٣٥٩).

فضلاً عن أن صِقِلِّية كانت تصدر المنسوجات الكتانية إلى مصر، وأن حجم تجارة المنسوجات بين صِقِلِّية ومصر كان كبيراً جداً، وأن مصر كانت تجلب من صِقِلِّية الكتان والثياب المنقوشة ويباع الثوب الواحد بمصر بعشرة دنانير مغربية (الدوري، ١٩٨٠م، ص١٧٢).

أما واردات صِقِلِّية من مصر فهي خشب الصنوبر الذي يستخدم في صناعة الأثاث (متز: ١٩٥٧م، ص٣٣٤، الدوري١٩٨٠م، ص١٧٢).

علاقة صِقِلِية الاقتصادية مع بلاد الشام:

"سميت الشام نسبة إلى بسام بن نوح عليه السلام، وذلك أنه أول من نزلها فجعلت السين شيناً لتغير اللفظ العجمي، وسميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات، أما حدودها من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وعرضها من جبلي طئ من نحو القبلة إلى بحر الروم، وبها من أمهات المدن، كحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت المقدس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك، وهي خمسة أجنادين، جند دمشق، وجند قنسرين، جند الأردن، جند فلسطين، جند حمص" (الحموي، د.ت، ص٣١٢).

ارتبطت صِقِلِّية بعلاقات اقتصادية قوية مع بلاد الشَّام، وتعد مَدِينَة طرابلس " مدينة لبنانية عاصمة محافظة الشمال، وهي ثاني أكبر مدن لبنان، وهي في القديم مدينة رومية عرفت قديماً بموقعها الجغرافي المميز؛ لأنها صلة بين الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط والداخل السوري فصارت مركز تجاري مهماً" (أبو الفداء، ١٨١٤م، ص٢٥٣) من أهم المراكز التِّجَارِية التي كانت لها علاقة تجارية مع صِقِلِّية خلال الحكم العربي لجَزِيرَة صِقِلِّية، فكان يتواجد الكثير من تجار صِقِلِّية في هذه المدينة (لويس،١٩٦٠م، ص٣٢٨). وقد انتقلت بعض المنتجات والمحاصيل الزراعية من بلاد الشام كالليمون والبرتقال حيث انتشرت زراعته بكثرة فيها، وانتقلت دودة القز وأساليب تربيتها، وبسبب ذلك ازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في إيطاليا (الجبوري، ٢٠٠٧م، ص ٣٨١)، وكان للمسلمين دور مهم في إدخال الخيول العَرَبِيَّة الأصيلة خلال عمليات الفتح منذ بدايتها لاستخدامها في الجهاد (المالكي، ١٩٨٣م، ص١٧٨؛ ابن الأبار ١٩٦٣م، ص ٣٨١؛ ابن عذارى، د.ت، ص ١٠٢).

وقد تحكم عرب صِقِلِّية والمُغْرِب في نقل التِّجَارَة بين الشرق والْغَرْب، وكانت سفنهم دائبة الحركة إلى بلاد الشَّام لجلب التوابل والمنتجات الفاخرة من بلاد الشرقين الأدنى والأقصى إلى شمال إِفْرِيقْيَةَ وسائر بلاد الإِسْلام في الْغَرْب (العدوي، ١٩٥٧م، ص١٨؛ الدوري، ١٩٨٠م، ص ١٧٤)، وكان يوجد في صِقِلِّية سوق خاص لبيع التوابل هو (سوق الأبزاريين) (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص١١٩).

وكان يهود صِقِلِّية على صلات بيهود فلسطين في مضمار نقل تجارة المتوسط(الدوري،١٩٨٠م، ص١٦٤)، وعندما استولى النورمان على صِقِلِّية قضوا على ما كان لعرب صِقِلِّية والمُغْرِب من وساطة في الحركة التِّجَارِية مع بلاد الشَّام وبلاد المشرق (لويس،١٩٦٠م، ص٣٩٠).

وارتبطت صِقِلِّية بعلاقات تجارية مع بلاد الشَّام تمثلت بدور الوساطة في نقل التوابل والمنتجات الفاخرة التي كانت ترد من بلاد الشرق بين الأدنى والأقصى عن طريق السفن الصِقِلِّية إلى شمال أفريقيا وسائر بلاد المُغْرِب الإِسْلامي (عبدالمعطي، ١٩٨٩م، ص٤٢١).

وكان لدخول المُسْلِمِين إلى صِقِلِّية واستقراهم بها واختلاطهم بأهلها قد أدى إلى دخول الخبرات

الجديدة والمهارات المتنوعة إليها؛ مما ساعد على ازدهارها ونموها الحضاري، وبسبب تعدد حاجات المُجْتَمَع الجديدة أسهم ذلك في تطور الصناعات المتعددة وبمرور الوقت اشتهرت صِقِلِّية ببعض الصناعات التي كان للمسلمين الفضل في وجود بعضها وتطور البعض الأخر وزيادتها (الجبوري،٢٠٠٧م،ص١٣٥).

إن أهم الصناعات التي اشتهرت بها صِقِلِّية أثناء السيادة العَرَبِيَّة للجَزِيرَة هي الصناعات الغذائية والتي تشمل السكر والحلويات والتي تعتمد على قصب السكر الذي كثرت زراعته في صِقِلِّية، ويعود الفضل في إدخال زراعته للمسلمين (المدني،١٩٦٩م ص١٨٦؛ عباس، ١٩٥٩م، ص٧٢).

وتعد الصباغة والدباغة من الصناعات القديمة في صِقِلِّية، واشتهرت صناعة الدباغة أيام المُسْلِمِين وأصبحت تملك أسواقاً خاصة بها (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص١١٤). وهناك بعض الصناعات الاستخراجية التي انتشرت في الجَزِيرَة ومن هذه الصناعات تعدين الكبريت والنفط وغيرها (الجبوري،٢٠٠٧م، ص١٥٣)، واستخراج الملح واستثمار الحديد واستخدامه في صناعة السفن والمراكب وأواني الطبخ، وصناعة الأواني النحاسية (عبدالمعطي، ١٩٨٩م، ص ٤٢١)، إلى جانب ذلك كانت الصناعات الجلدية قد تطورت لكثرة الحيوانات المختلفة وارتباطها بمهنة الدباغة (الجبوري،٢٠٠٧م، ص١٦٦).

إن إسهام العرب والمُسْلِمِين في تاريخ صِقِلِّية وحضارتها يستدل عليهم من أثرهم الحضاري الكبير في الفترة النورمانية، فقد اعتمد النورمان اعتماداً كبيراً على مهارة المُسْلِمِين الصِّنَاعِية والحرفية، وحافظوا على الفنون والصناعات الإِسْلامية وعملوا على ازدهارها وفق الأسس والطراز الْعَرَبِي الإسلامي (الباشا، ١٩٦٧م، ٢٩).

والملاحظ بصورة عامة أن صادرات صِقِلِّية كانت أكثر من وارداتها، وهذا شيء إيجابي وناتج عن حصول تكامل اقتصادي في كافة أنحاء الجَزِيرَة، وكان لهذا الأمر الأثر الكبير على الْحَيَاة المعيشية للسكان، إذ كانوا في رغد من العيش انعكست نتائجه على نواحي الْحَيَاة الأخرى كافة (الجبوري،٢٠٠٧م،ص١٩٤).

الخاتمة

خلص البحث إلى جملة نتائج نوجزها بالآتي:

- أهمية العلاقة الاقْتِصَادِيَّة بين صِقِلِّية ودول البحر المتوسط الإِسْلامية لارتباط الجانب الاقْتِصَادِي بها تأثراً وتأثيراً وفي كافة المجالات.
- تنوعت طرق المواصلات بين صِقِلِّية وهذه الدول، فمنها البَحْرِية والبرية، وكان لموقع صِقِلِّية أثر كبير في وجود موانئ عديدة مما أدى إلى ازدهار الجانب الاقتصادي.
- كان للزراعة دور مهم في العلاقة الاقْتِصَادِيَّة (محور البحث) وذلك لخصوبة الأراضي الصِقِلِّية وملاءمتها لجميع أنواع الزراعة، وكذلك الثروة الحَيَوَانية وملاءمة الطقس

والأمطار لذلك، مما ساعد على نمو التِّجَارَة والصِّنَاعَة فيها، ولاسيما ما يعتمد منها على الجانب الزراعي ومنتجاته.

- لقد تأثرت صقلية كثيراً بدخول الإسلام إليها، ولاسيما في توزيع الملكيات ونظام المواريث، فضلاً عن أن السيادة العَرَبِيَّة على البحر أثرت على الجانب الاقْتِصَادِي مما أسهم في نموه عند سكان صِقِلِّية واشتهارهم بالتجارة.
- اشتهرت صِقِلِّية بالصِّنَاعَة أيضاً أثناء السيادة العَرَبِيَّة، ولاسيما صناعة السكر والحلويات والصباغة والدباغة واستخراج الملح وصناعة السفن، كما تأثرت بمصر، ولاسيما في صناعة النسيج، وازدهرت الحركة التِّجَارِية بينهما كثيراً.
- تميزت صقلية عن غيرها من المدن التي دخلها الإسلام بالصناعات الاستخراجية التي انتشرت فيها، ومنها صناعة تعدين الكبريت والنفط، واستخراج الملح، واستثمار الحديد، وصناعة الأواني النحاسية، وأواني الطبخ، كما تميزت بالصناعات الجلدية لكثرة الحيوانات واختلافها.
- تبين لنا ازدهار العلاقة الاقتصادية بين صِقِلِّية وبلاد الشَّام، ولاسيما في الجانب الزراعي ذاهباً وإياباً ولعبت بلاد الشَّام دور الوسيط التِّجَارِي بينها وبين مدن الشرقيين الأدنى والأقصى.
- وكان للمسلمين إسهام واضح في تاريخ صِقِلِّية وحضارتها، وكانت صادرات صِقِلِّية أكثر من وارداتها، مما يدل على التكامل الاقْتِصَادِي لديهم.

ولقد أوصت الدراسة بعدة توصيات من أهمها:

١- ضرورة القيام بعمل دراسة جامعية متخصصة حول كل من علاقة صِقِلِّية الاقْتِصَادِيَّة بالأَنْدَلُس و بلاد الْمَغْرِب ومصر وبلاد الشَّام كل في دراسة منفردة متخصصة لتعم الفائدة العلمية وتلقي المزيد من الضوء على تلك العلاقات التي كان لها تأثير كبير في العلاقات الدولية فترة العصور الوسطى.

٢- عمل دراسة أكاديمية تكاملية تجمع بين التَّارِيخ والجغرافيا في صورة تعاون بين المجالين ومن شأنها تحقيق دراسة حضارية متخصصة لأن موضوع البحث يحتاج لعين الجغرافيا وتحليل المؤرخ.

٣- التوصية بتخصيص مؤتمر دولي حول علاقة صِقِلِّية بدول حوض البحر المتوسط بمشاركة الباحثين المتخصصين في المجال من الجامعات العَرَبِيَّة والأجنبية.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

ابن الأَبَّار، محمد بن عبد الله (١٩٦٣م)، (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م): **الحُلة السِّيَراء** (تَحْقِيق: حُسَين مؤنس)، بيروت: دار الكتاب العربي

ابن الأثير، عز الدين أبو الْحَسَن علي بن أبي الكرم (١٩٨٢م)، (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): **الكامل في التَّارِيخ**: بيروت: دار صادر.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عَبْد الله (١٩٧٢م)، (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م): ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، القسم الثالث، (تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم)، الدار البيضاء.

ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن مُحَمَّد بن أَحْمَدُ (١٨٠٢م)، (ت ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م) **الفلاحة**، (تحقيق: جوزيف أنطونيو)، مدريد.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف(١٤١٣هـ/ ١٩٩٢)، (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، (تحقيق وتعليق: محمد حسين شمس الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد(١٩٦٨م)، (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) **رحلة ابن جبير**، بيروت: دار التراث.

ابن حَوْقَل، محمد أبو القاسم(١٩٩٢م)، (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): **صورة الأرض** ، بيروت: مكتبة الحَيَاة.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(١٨٨٩م)، (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م): **المسالك والممالك**، ليدن.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): **وفيات الأعيان**، (تحقيق: إحسان عباس)، بيروت.

ابن عذارى، أبو عبيد الله محمد(د.ت)، (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٣م): **البيان المُغْرِب في أخبار الأَنْدَلُس والمُغْرِب**، الجزء الثاني، (تحقيق: ج.س. كولان، إ. ليفى بروفنسال)، بيروت: دار الثقافة.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (١٨١٤م)، (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): **تقويم البلدان** ط١، (تحقيق: ماك كوين ديسلان)، باريس: دار الطباعة السلطانية.

الإدريسي، أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد (١٩٨٦م)، (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، بيروت: عالم الكتب.

الأصطخري، أبو إسحق إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد الْفَارِسِي (١٩٦٧م)، (ت ق٤هـ/ ١٠م): **المسالك والممالك**، ليدن.

الأنصاري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب (١٩٢٣م)، (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ليبزك.

البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق(١٩٥٤م)، (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) : **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**،ط١، (تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي)، بيروت: دار المعرفة.

البكري، عَبْد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد (١٩٦٥م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من أجزاء المعروف بالمسالك والممالك، باريس.

البكري، عَبْد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد (١٩٦٨م)، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): **جغرافية الأَنْدَلُس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: عبدالرحمن علي الحجي، بيروت: مطابع دار لبنان.

الحميدي، محمد بن عبدالمنعم (١٩٧٥م)، (ت ق ٨هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط١، (تحقيق: إحسان عباس)، بيروت: مكتبة لبنان.

القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد(١٩٨٧م)، (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): **صُبح الأَعْشَى في صناعة الانشا**، بَيْرُوت: دار الكتب العِلْمِيَّة.

المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله (١٩٨٣م)، (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م): **رياض النفوس**، (تحقيق: بشير الكبوش)، بيروت.

المسعودي، أبو علي بن الْحَسَن بن علي (١٩٨١م)، (ت٣٤٦ هـ/ ٩٥٧م): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، يروت: دار الأَنْدَلُس.

المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد البشاري (١٩٠٦م)، (مُحَمَّد بن أَحْمَدُ شمس الدين البشاري، ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن.

المقريزي، تقي الدين أحمد (١٩٦٧م)، (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): **اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، (تحقيق: جمال الدين الشيال)، القاهرة.

ناصر خسرو، أبو معين ناصر(١٩٩٣م)، (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م): **سفرنامه**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الناصري، أبو عباس أحمد بن خالد(١٩٩٧م) (ت١٨٩٧م)، **الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: أبناء المؤلف جعفر ومحمد، الدار البيضاء: بيروت: دار الكتاب.

ياقوت الحَمَوي، أبو عَبْد الله بن عَبْد الله الرُّوْمِي البغدادي (١٩٥٧م)، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): **معجم البلدان**، بَيْرُوت: دار صادر.

اليعقوبي، شهاب الدين أبي عَبْد الله ياقوت بن عَبْد الله الحَمَوي (د.ت)، (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) **البلدان**، بَيْرُوت: دار صادر.

ثانيا: المراجع العربيّة والمعربة:

الباشا، حسن (١٩٦٧م)، **فنون النهضة التشكيلية وتأثيرها بالفنون الإسلامية**، القاهرة: دار النهضة العَرَبِيَّة.

جودة، حسنين جودة(د.ت)، **جغرافية أوروبا الإقليمية** ،ط٥، بيروت: دار النهضة العربية.

حسن، إبراهيم حسن(١٩٥٨م)، **تاريخ الدَّوْلَة الفَاطِمِيَّةُ في المَغْرِب ومصر وسورية وبلاد العرب**، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

حسن، زكي محمد (١٩٤٨م)، **فنون الإسلام**، الطبعة الأولى، القاهرة: طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

حسن، زكي محمد (١٩٨١م)،**كنوز الفاطميين**، بيروت: دار الرائد العربي.

الدوري، تقي الدين عارف (١٩٨٠م) ،**صِقِلِّية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامي من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي**، بغداد: دار الرشيد.

الطاهري، أحمد (٢٠٠٤م)، **الفلاحة والعمران الفردي بالأَنْدَلُس خلال عصر بني عباد**، مصر: مركز الإسْكَنْدَريَّة للكتاب.

عباس، إحسان (١٩٥٩م)، **العرب في صِقِلِّية**، القاهرة: دار المعارف.

عبد المعطي، محمد عبده وآخرون(١٩٨٩م)، **تاريخ العلوم والحَضَارَة الإسلامية**، إشراف ومراجعة وتقديم: عزت محمد خيري ومحمد إبراهيم، الإمارات: مطبوعات جامعة الإمارات العَرَبِيَّة المتحدة.

العتبي، تركي مسيمير (١٤٠٧هـ)، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية الإسلامية، (٢١٢-٤٨٤هـ)**، الرياض: مطابع القوات المسلحة السعودية.

العدوي، إبراهيم أحمد (١٩٥٧م)، **الأساطيل العَرَبِيَّة في البحر الأبيض المتوسط**، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

العدوي، إبراهيم أحمد (١٩٦٣م)، **قوات البَحْرِية العَرَبِيَّة في مياه البحر المتوسط**، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

عنان، محمد عبدالله (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي.

غانم، محمد الصغير (١٩٧٨م)، **التوسع الفنيقي في غرب البحر المتوسط**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

غربال، محمد شفيق(١٩٦٥م) ، **الموسوعة العَرَبِيَّة الميسرة**، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

لوبون، جوستاف (١٩٦٩م)، **حضارة العرب**، نقله إلى العَرَبِيَّة، عادل زعيتر، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

لويس، أرشيبالد(١٩٦٠م)، **القوى البَحْرِية والتِّجَارِية في البحر المتوسط**، مصر: مكتبة النهضة المصرية.

متز، أدم (١٩٥٧م)، **الحَضَارَة الإِسْلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

المدني، أحمد توفيق (١٩٦٩م) ، **المُسْلِمون في جَزِيرَة صِقِلِّية وجنوب إيطاليا**، الجزائر: الشركة الوطنية.

مؤنس، حسن (١٩٨٧م)، **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

ثالثا: الرسائل العلمية:

الجبوري، عائدة محمد عبيد (٢٠٠٧م)، **جَزِيرَة صِقِلِّية** (دراسة حضارية من القرن (١-٧هـ/ ٧-١٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل.

الشمري، سلوى بنت عبيد بن عابد (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، **الجهود السياسية والعسكرية لدولة الأغالبة في جزيرة صقلية** في المدة ما بين (٢١٢-٢٩٦هـ/ ٨٢٧-٩٠٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن.

رابعا: الدوريات:

الجبيلي علياء يحيى (٢٠١٢م)، الحياة الاقتصادية في فلسطين خلال الفترة (٤٠-١٣٢هـ)، **مجلة الدراسات العليا** (أكاديمية الدراسات الإسلامية)، جامعة ملايا، ماليزيا، ط١، ص٥٢١-٥٣٨.

الفاسي، محمد (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، الأعلام الجغرافية الأندلسية، **مجلة البينة**، المغرب، العدد ٣، السنة ١.

القحطاني، منى حسين علي آل سهلان (٢٠١٢م)، توافد الهجرات العلمية إلى صقلية (٣٣٦-٤٤٣هـ/ ٩٥٢-١٠٥١م)، **مجلة الدراسات العليا** (أكاديمية الدراسات الإسلامية)، جامعة ملايا، ماليزيا، ط١.

رابعا: المراجع باللغة الإنجليزية:

Amari, Michle (1939). *Storia dei Musulmani di Sicilia*, Seconda ediziene, Catania 1933 – 1939.

Daniel, Norman (1975). The Arab Impact on Sicily and southern Italy in the Middle Ages, Cairo,1975.

Haskins, Charles (1915). *The Norman in European History*, Boston and New York,1915

Scott, Samuel (1940). History of the Moorish Empire in Europe, Philadelphia.

الملاحــق

ملحق رقم (١)

/https://ar.wikipedia1.org/wiki

ملحق رقم (٢)

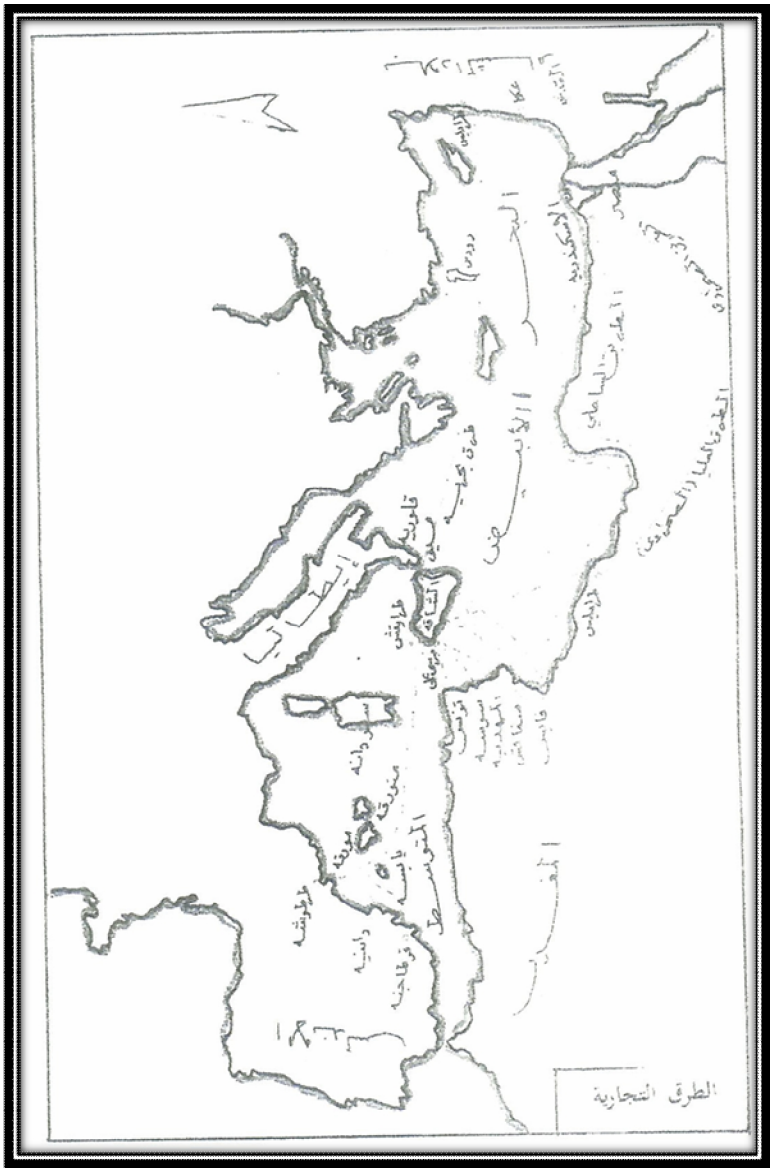

العتيبي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية الإسلامية (٢١٢-٤٨٤هـ)، ص٦٤.

ملحق رقم (٣)

/https://ar.wikipedia.org/wiki